الأسلوبية التأثرية في الخطاب الشعري عند مفدي زكريا
قصيدة (ادفعوها) نموذجا.

الأستاذ: شبيرة الريغي.
جامعة المسيلة/الجزائر

ملخص: تم اختيار قصيدة (ادفعوها) للشاعر مفدي زكرياء التي نظمها بمناسبة العدوان الفرنسي على بنزرت 19 يوليو 1961، وهذا لتكون مجال دراستنا الأسلوبية ،وقد انطلقت من إحدى أركان الخطاب وهو المتلقي لمقاربة الخصائص الأسلوبية التأثرية التي اعتمدها الشاعر استراتيجية للوصول إلى مبتغاه وهو تأثر المتلقي، باعتبار أن النص رد فعل الشاعر على حدث العدوان، فالنص خطاب انفعالي هدفه دفع المتلقي إلى الثورة، وقد تمت الدراسة على مستويات: الصوت والمعجم والتركيب للوقوف على هذه الخصائص، وأهم ما توصلت إليه الدراسة أن: الخصائص الصوتية كانت واضحة ثم تليها الخصائص الدلالية للمعجم المكون للنص لأنه كان رسالة مشفرة للمتلقي تراعي ثقافته وقيمه.

(الكلمات المفاتيح: الخصائص -التأثرية-زكرياء-ادفعوها-الأسلوبية).

" La stylistique impressionniste dans le discours poétique chez Moufdi Zakaria. Cas de poème " idfaouha, (poussez-la)"

Résumé
Nous avons choisi comme objet de notre étude stylistique le poème intitulé " Poussez-la" écrit par Moufdi Zakaria lors de l'agression française contre Bizerte، le 19 juillet 1961.
En partant d'un élément du discours à savoir le destinataire، nous approchons les caractéristiques stylistiques d'influence adoptées par le poète comme une stratégie pour atteindre son objectif : celui d'influencer le destinataire parce que le texte est un discours émotionnel qui incite le récepteur à la révolte.
Cette étude est à la fois phonétique، lexicologique et syntaxique et ce pour bien analyser ces caractéristiques. les résultats de ce travail de recherche sont les suivants : - l'aspect phonétique du texte est bien clair ainsi que les caractéristiques sémantiques du lexique constituant le texte car ce lexique est un message implicite destiné au récepteur prenant en considération sa culture et ses valeurs.

Mots-clés: caractéristique - influençabilité - Zakaria- Poussez-la - la stylistique

مقدمة:

ليس من السهل أن يقترح الباحث نصا للدراسة الأسلوبية؛ وخاصة عندما تكون المدونة محددة، ويبقى الرهان بعد الاجتهاد في اختيار النص المقترح – هاجس الباحث –ليجيب عن سؤال: أين تكمن الخصائص والسمات الأسلوبية في هذا النص؟وهل مجرد الإعجاب به كفيل بالمسك بها؟ وما حدود ترصدها؟ وهل تتوفر جميع مستويات التنقيب الأسلوبي الصوتية ،والمعجمية والتركيبية فيه ؟ إن البحث عن استراتيجية الشاعر الإبداعية في بناء النص الشعري يبقى هاجس الباحث للكشف عن المعاني والدلالات والأساليب المميزة التي تؤسس للخطاب شرعيته الفنية، ومنها تتأسس الخصائص الأسلوبية مناط البحث.

لقد تم اختيار نص (ادفعوها)1 للشاعر مفدي زكرياء الذي ألفه بمناسبة العدوان الفرنسي على بنزرت بتونس بتاريخ 19 يوليو 1961وقد تزامن مع أحداث الثورة الجزائرية؛ فالعدو واحد بالنسبة للجزائر وتونس باعتباره

خطابا شاعريا لا بد أن يتوفر على جماليات أسلوبية،وهذا البحث هو محاولة للكشف عن بعض هذه السمات الأسلوبية التأثرية ؛أي من زاوية المتلقي الذي عمل الشاعر على إثارته، فما هي هذه الخصائص ،أو بعضها في إطار مستوياتها المعروفة؟

وكيف تخدم هذه الخصائص استراتيجية الشاعر كي يتأثر المتلقي بها؟ وهل تنسجم هذه الخصائص مع استراتيجيته الخطابية؟ ورغم أن المجال ضيق إلا أنني سأحاول الاقتراب من الإجابة عن هذه التساؤلات.

1-المستوى الصوتي:

التكرار الصوتي: اعتمد الشاعر التكرار بدءا من مطلع القصيدة وذلك من خلال ترديد كلمات خاصة على مستوى المقاطع العشرة فتكونت بذلك(علاقة بين الصوت والمدلول الذي يشير إليه والمعاني التي يرمزلها) 2. مما ولد متلازمة صوتية متنوعة المعنى والرمز،وموحدة الجرس الصوتي، فاعتمد ترديد فاعلاتن ثلاث مرات بنفس اللفظ في المقطع الواحد،ثم يكررها بنفس التفعيلة ولكن بلفظ آخر في المقطع الموالي، نقرأ القصيدة:

(1- ادفعوها...
في ضمير الليل، تجتاح السكون
تترامى كالقضا
وتدوي في الفضا
تُسمع الأكوان
قصة الإيمان
ادفعوها ...
في الوجود
للخلود
ساخرات بالسدود
هازئات بالحدود
إدفعوها ...
2-إرفعوها ...
خافقات، بالأماني الغاليات
في بياض واحمرار
تتهادى بالقرار
تلهم الإنسان
عزة الأوطان
إرفعوها ...
أنجما للسما
تلقي في روع البقا
عهدنا والموثقا
ارفعوها ...
3-لعلعوها ...
بالهتافات بأنغام الحياة
وزغاريد العذارى
وتسابيح السهارى
تغمر الشجعان
نشوة الميدان

لعلعوها ...
بالدروب
في الغروب
يسمع الغيب نداها
يرعب الدنيا صداها
لعلعوها ...
4-شرعوها ...
عزمات، تتحدى القدرا
يوم بنزرت الرهيب
عندما نادى الحبيب
أدبوا (آمان)
واردعوا (ماريان)
شرعوها ...
في الحياة
معجزات
ودروسا من بطوله
في الملمات المهولة
شرعوها ...
5-اقطعوها...
إنها أسلاك أشواك الورود
مائسات بالقدود
ضارعات بالنهود
أُقطفوا الأغصان
واجمعوا الريحان
اقطعوها ...
في المعابر
بالخناجر
واقذفوها للأوانس
تتلهى بالعرائس

إقطعوها...
6- روعوها ...
وذروها، تعتصم بالطائرات
وتستر بالمدافع
جاثمات كالضفادع
كشروا الأسنان
تفزع القطعان
روعوها ...
للسفوح...
للسطوح...
عاثرات في الفضائح
وتهادوا باللوائح
روعوها...
7- اصفعوها ...
تتذكر ... إنها تسهو وتنسى
لقنوا ديغول درسا
تذكر الألمان
ساعة الخذلان
اصفعوها ...
في القذال
بالنعال
إنها رقطاء أفعى
ألفت لكما وصفعا
إصفعوها ...
8- جرعوها ...
حصرم الخزي، وزقوم الهزيمة
لقنوها في الشمال

إجمعوها ...

أن بنزرت في القنال
خبروا (آمان)
بالفتى (لقمان)
جرعوها ...
مع صبيح
والضريح
وصريع التاج
في ذرى (قرطاج)
جرعوها...
9- اسمعوها ...
يا بني الخضرا ... هتافات حرارا
تغمر اليوم احتراما
وطنا لم يحن هاما
وإسمعوا الإخوان
من بني قحطان
إسمعوها ...
بالأماني
والأغاني
من شهيد في الجزائر
دمه في الساح فائر
إسمعوها ...
10-اجمعوها ...
وحدة جبارة
تحمي العروبة
في الليالي الحالكات
ضد أطماع البغاة
جرحها الهتان
طهر الأدران

يا عرب
من لهب
ترجف الأحلاف منها
تأمر الدنيا وتنهى
إجمعوها ...)2

نلاحظ أن كلمة (ادفعوها) تكررت ثلاث مرات على مستوى المقطع الأول وكذلك (ارفعوها) في المقطع الثاني وهكذا مع الكلمات الأخرى المتكررة وهو ما سنوضحه لاحقا ،وبذلك يكون الترديد مقصودا ليعطي(للمعنى إيحاءات جديدة ويفجر شحنات أخرى من المدلولات)[3]،فإلفات انتباه المتلقي يعتمد على استراتيجية الترديد التي يجب أن يهتم بها الشاعر اهتماما يحقق له الهدف المحدد من خطابه الشعري وهو إشعال الحماس،والتأثير في المتلقي وشحنه بمدلول الألفاظ المتكررة ؛فاللازمة الصوتية المتكررة ثلاث مرات في كل مقطع شعري لفظا ومعنى اعتمد التفعيلة فاعلاتن، وهكذا مع جميع المقاطع الأخرى لكن يتغير اللفظ والمعنى في كل مقطع مع الاحتفاظ بنفس التفعيلة فاعلاتن ، أو الصيغة الصرفية (ا فعلوها)، واللافت للانتباه أن التكرار بنفس العدد مع كل مقطوعة كان ثابتا؛ ثلاث مرات والهدف من ذلك ضمان التأثير في المتلقي، فثلاث مرات كافية لترسيخ أصوات الألفاظ ومعانيها المقصودة؛لأن المقام خطابي غرضه التثبيت والتأثير، ولو وردت- عفويا- مرة أو مرتين - ربما - لا يمكن ضمان ترسيخها في نفس المتلقي ، والقاعدة التربوية تؤكد أن الفعل يرسخ إذا تكرر ثلاث مرات فما فوق ، وفي واقعنا نعتمد هذا الأسلوب التكراري لا شعوريا؛ وخاصة عند الانتقام كطلبك من ابنك الغافل عن رؤية خطر حوله ؛ فتنبهه مثلا ليحذر من العقرب القريبة منه فتقول له (عقرب عقرب عقرب) ثم تقول له (اقتلها اقتلها اقتلها)وبذلك تحققت وظيفة من وظائف التكرار، وهي الوظيفة التأكيدية وهذه تحققت -أيضا - من

خلال الوظيفة الإيقاعية، التي تواصلت بتكرار صوتي(فاعلاتن)بنفس اللفظ والمعنى في المقطوعة الواحدة ثم بلفظ ومعنى آخرين في المقطوعة التي تليها، فصار التكرار هنا ظاهرة أسلوبية لانتظام وروده في القصيدة والذي يوحي بمتتالية عددية أساسها ثلاثة.

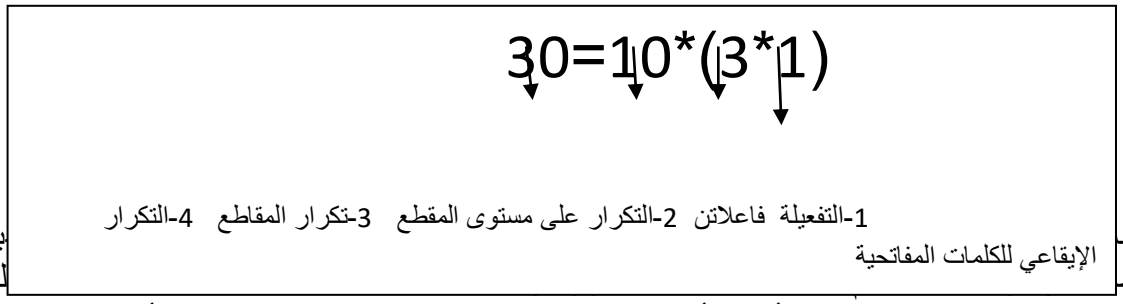

هذه الإفاضة بعد سماعه القصيدة التي تعتبر استرايجية الشاعر نحو المتلقي؛ لأنه يبدأ بالدعوة إلى الفعل الثوري عن طريق فعل الأمر الذي يتكرر صوتيا ثلاث مرات في كل مقطع، وبين الإعادات يُفيض الشاعر في التعليلات والكيفيات التي يتوجب على المتلقي القيام بها ، وقد حافظ التكرار على رتابته الصوتية ؛فكانت الكلمة الأولى في بداية كل مقطع ،ثم تكررت في وسطه ،ثم ختم بها،ويبقى هذا الشكل الهندسي (التناظري)والموسيقي ثابتا على مستوى كل المقاطع العشرة.مما ولد وظيفة أخرى هي الوظيفة التزيينية.

والوظيفة التزيينية اعتمدت على تساوي إيقاعي بين جميع المقاطع وذلك بتكرار اللفظ بطريقة تناظرية تقابلية.

فظهر كالتالي في كل مقطع: (ادفعوها ادفعوها ادفعوها) (ارفعوها ارفعوها ارفعوها) (لعلعوها لعلعوها لعلعوها) (شرعوها شرعوها شرعوها) (اقطعوها اقطعوها اقطعوها) (روعوها روعوها روعوها) (اصفعوها اصفعوها اصفعوها) (جرعوها جرعوها جرعوها) (اسمعوها اسمعوها اسمعوها) (اجمعوها اجمعوها اجمعوها)

والوظيفة التزيينية اعتمدت هنا على تكرار صوتي داخلي للفظة في المقطع نفسه ليحافظ على نفس المعنى والإيقاع فكان إيقاعا داخليا، ثم خارجيا في المقاطع الموالية بتغيير اللفظ والمعنى دون الصوتي ؛مما أضفى تلوينا صوتيا على مستوى القصيدة ؛ فتولد إيقاع خارجي .وبهذا الجرس المتنوع يتنبه المتلقي من خلال صدى وجمالية التواتر الإيقاعي؛فالمتلقي سيشارك- بلا شك - الشاعر في ترديد الكلمات المفتاحية المتكررة وهذا بعد سماعه مقطعين أو ثلاث من القصيدة ؛ لأن المتلقي سيصبح قارئا (متنبئا)أوملقيابعد أن كان مستمعا متلقيا ، وهنا يريد الشاعر أن يشحن المتلقي بما يريده من خلال إشراكه في التخاطب.

لقد كانت الألفاظ المتكررة اللافتة للانتباه عبارة عن أفعال وردت بصيغة الأمر على وزن (افعلوها)؛ وهذه الكثرة توحي بالحركة والانتقال من حال إلى حال؛ وهو ما يناسب السياق الزمني والاجتماعي،أوبالأحرى الثوري، كما أن كثرة الأفعال توحي بتكثير الفعل المطلوب في الواقع، والتخيير بينها بحسب ما يناسب المتلقي ويلائم ظروفه وذهنه ونفسيته.

1-1-تكرار الحرف: نقرأ ثم نلاحظ الصوت المتكرر (ادفعوها ← ارفعوها ←لعلعوها← شرعوها ← اقطعوها← روعوها← اصفعوها←جرعوها ←اسمعوها ← اجمعوها).

اعتمد الشاعر على أسلوبية صوتية متميزة ؛تمثلت في تكرار حرفين متصلين مشبعين في كلمات خاصة على مستوى جميع المقاطع ، مما أدى إلى حدوث جرس موسيقي متكرر لافت للانتباه ، هذا الصوت الحرفي هو :(عو+ ها)ويتضح ذلك كما يلي: ادفعوها -----3مرات ارفعوها -----3مرات لعلعوها------3مرات شرعوها ------3مرات اقطعوها------3مرات روعوها------3مرات اصفعوها ------3مرات جرعوها ------ 3مرات اسمعوها ------3مرات اجمعوها ------3مرات

إن صوتي الحرفين المتجاورين والمشبعين(عو) و(ها)المتكررين في جميع الكلمات على مستوى القصيدة كلها، يصنعان موجات صوتية تمتاز بكثافة إيقاعية تنبه المتلقي وتحرك مشاعره، مما يؤدي إلى مشاركة سمعية من قبل المتلقي بسبب تأثير الذبذبات المتتالية بانتظام، ووجدانية بسبب تأثيرها الدلالي التي تأتي في قالب صرفي واحد (افعلوها)من بداية القصيدة إلى نهايتها.

-الحرف المشبع عو ودلالته الصوتية: إن حرف العين(ع)من الأصوات المجهورة التي(تهتز فيه الأوتار الصوتية بقوة فيضاف هذا الاهتزاز العضوي للتجاويف العليا)4 والذي لا يعترضه عضوأثناء الأداء مما يؤدي

إلى انطلاق الصوت إلى أبعد مدى وبكل قوة، وهو ما يناسب مقام الخطاب الذي يهدف إلى شحن المتلقي،فاستعمل الإشباع بالضم متكررا على مستوى الكلمات المفتاحية ،ثم يليه مباشرة إشباع الهاء بالفتح وهذا يولد نفسا طويلا يناسب مواقف الخطابة وبذلك أصبحت (اللفظة تحتوي معنى وصوتا)5، واجتماع هذين الصوتين المشتركين في الطبيعة الصوتية، يصنع إيقاعا جزئيا ثابتا في جميع الكلمات المتكررة (عوها)مما ولد مبالغة صوتية مقصودة .

الحرف المشبع (ها): حرف الهاء من الحروف المهموسة؛ يجري فيه النفس بذبذبة صوتية أقل من الأصوات المجهورة إلا أن *تجاورهما قد زاد في قوة هذه الذبذبة*.

2-تكرار الكلمة:ثبت الشاعر على إيقاع واحد في الكلمات المتكررة ثلاثا على مستوى مقاطع القصيدة عوها – عوها ..... ، مما يعني أنه يريد تثبيت المعنى وإلفات الانتباه إليه، ولإثبات ذلك نجرب بالقراءة ؛ فننزع هذه الكلمات المتكررة الواردة على وزن افعلوها ثم نقرأ القصيدة، فستكون قصيدة باردة دون انفعال، ونكتب المقطعين الأوليين للتجريب، مع الاكتفاء بالكلمة الأولى دون تكرارها:

ادفعوها.....

في ضمير الليل تجتاح السكون
تترامى كالقضا
وتدوي في الفضا
تُسمع الأكوان
قصة الإيمان
(.....)
في الوجود
للخلود
ساخرات بالسدود
هازئات بالحدود
(.....)

ا
خافقات، بالأماني الغاليات
في بياض واحمرار
تتهادى بالقرار
تلهم الإنسان
عزة الأوطان
أنجما
للسما
تلق في روع البقا
عهدنا والموثقا
(.....)

تجربة1:عندما تقرأ كلمة(ادفعوها)، (ارف ـ يتضح الفرق القرائي صوتيا.

تجربة 2:نترك الكلمة المكررة مرة واحد ل الكلمة الثانية والثالثة المكررتين بمرادفتين لهما فتكون النتيجة:

ادفعوها ....
في ضمير الليل،تجتاح السكون
تترامى كالقضا
وتدوى في الفضا
ثم نعيد القراءة بالتكرار الحقيقي الوارد

تسمع الأكوان
قصة الإيمان
(أرسلوها)
في الوجود
الفر

للخلود
ساخرات بالسدود
هازئات بالحدود
(ابعثوها)
صدى الجرس
ررة -ثلاثا -قوة

الصوتي،وضعف القوة الإلقائية،وتكرار الـ) ا
إيقاعية خاصة ؛لأنه بقي مترددا مع جميع المقاطع السعريه بدين مرة ـ ـ يحقق أهدافه عن طريق التكرار الإيقاعي؛ بنفس الكلمة على مستوى المقطع ثلاث مرات ،ثم الانتقال إلى معنى ولفظ جديد في المقطع الموالي، ولكن بنفس الصدى فصارت المقاطع كأنها جبال يتردد بينها الصدى والواقف بينها يتلقى بدون انقطاع، وبذلك يكون التكثيف الصوتي إحدى استراتيجيات الخطاب؛لتحقيق بعض الأهداف الخطابية في المتلقي وهي:

أ-التأكيد.
ب-الاستيعاب.
ج – زيادة الترغيب والإقناع.
د-استمالة المخاطب وإثارته.
ه-التنويه بخطورة الأمر.
و-الحث على الفعل المقصود وتحقيق المطالب.
ه-التهويل والتعظيم.
ي-الإفراغ والشحن

2-المعجم:تنوعت الحقول الدلالية في النص ؛ لأنه تخير الألفاظ التي تختزن المعاني وتخدم الأسلوب، فنلاحظ أن معجم القصيدة كان ثوريا وحيويا وحماسيا، يريد به استنهاض همم المخاطبين، وبعث روح الانتقام من خلال إشعال الحماس والبسالة، وهذا لا يكون إلا بكلمات تتميز بالقوة والفخامة والحرارة؛لتكون متناسية مع المقام والظرف الاجتماعي والوطني الذي يسرى فيه خطاب الشاعر، وبالإضافة إلى هذه الألفاظ هناك المعاني الناتجة عن تزاوج جديد بين كلمات في جملة مثل(وطن لم يحن هاما) ولدت معنى قويا تمثل في الكبرياء و الكرامة و العزة ،وفي جملة (تغمر الشجعان نشوة الميدان) نجد أن مفرداتها توحي إلى معاني البطولة والزهو والتلذذ لحظة مواجهة العدو.

2-1-الحقل الدلالي الخاص بالثورة:ويمكن أن نجمع مفردات هذا الحقل في هذا الجدول، فتظهر حقول فرعية، ومن خلاله يتبين مايلي :

المقطع	الحقل المعجمي	الكلمات المفتاحية	بؤرة الدلالة	الدلالة العامة للمقطع
م 1 م2 م3	ادفعوها 3م –تجتاح –تدوي-الإيمان-الخلود ساخرات –الحدود-هازئات-السدود ارفعوها3م – الأماني –احمرار- القرار- تلهم- عزة – الأوطان- السما –تلقي – روع-البقاء –عهدنا – الموثقا	-اقطعوها. -ارفعوها. -لعلعوها.	-تونس القضية. -تونس الملهمة. -تونس المرعبةللعدو.	-فداء الوطن وقداسة القضية والإيحاء إلى ثورة نوفمبر
م4 م5	شرعوها3م عزمات – تتحدى القدر الرهيب أدبوا اردعوا -معجزات -بطولة -المهولة -أقطعوها 3م-أسلاك –أشواك –إقطفوا-الخناجر-إقذفوها	-شرعوها. -اقطعوها.	-المتلقي الثائر-التحدي.	-الثأر والبطولة.
م6 م7 م8	روعوها 3م-الطائرات-المدافع –جاثمات -كشروا -تفزع -القطعان -السفوح -عاثرات -الفضائح – اللوائح-اصفعوها3م – ديغول – درسا – هدهدوا – فرنسا – الألمان – الخذلان	-روعوها. -اصفعوها.	-العدو الفرنسي.	-الانتقام من العدو والتنكيل به.
م9 م10	إسمعوها3م- بني الخضرآ - وطنا-الإخوان-بني قحطان-الجزائر-وحدة-تحمي-العروبة-طهر-يا عرب	-اسمعوها. - إجمعوها.	-الأمة والجزائر النموذج.	-الانتصار للأمة والأخذ بالنموذج.

مفردات المقطع الأول والثاني والثالث دلت على انطلاق الشاعر من الوطن لإثارة الحماسة لدى المتلقي،والوطن وتر حساس بالنسبة إلى المواطن تقدسه الأديان،والشرائع والقوانين وتدعو إلى حمايته بالنفس والنفيس، كما أن حب الأوطان غريزة وفطرة في الإنسان ، وعندما يتعرض الوطن للاعتداء فإن الخوف والتردد والتماطل يجعل الكثير يتأخر أو يتردد في واجب الدفاع عن الوطن، ولذلك انطلق الشاعرمن زاوية الوطن؛ فبدأ بكلمة (ادفعوها) ، والضمير يعود هنا على تونس القضية وكلمة الدفع توحي ببدء الحركة بعد السكون، ثم الانطلاق بقوة ،فإذا دفعت شيئا فسينطلق من اتجاه مابحسب قوة الدفع المادية أو المعنوية ،وقد حدد زمن الانطلاق بالليل وجعله عاقلا عندما أضاف له ضميرا(ادفعوها في ضمير الليل) لأنه صار صديق المظلومين فهو سيساعدهم على الانتقام من الظالم ،إذا كان النهار بقبضته ومجال سطوته يوشي بهم عن طريق عيونه إلى العدو ،ولو استبدلنا لفظة (ادفعوها) بلفظه لها نفس المعنى مثل (ارسلوها – ابعثوها – حركوها) ثم نقرأ المقطع الأول لما وجدنا نفس الصدى ، ذلك لأن حرف الدال في كلمة ادفعوها عندما كان ساكنا كان انفجاريا والشاعر يدعو إلى الانفجار.

3-الحقل الدلالي الخاص بالانتماء: بعد جمع مفردات هذا الحقل وبالتأمل تتحدد الحقول الفرعية التالية:

أ – **الوطن:**الخلود – عزة – الأوطان – عهدنا –الموثق – النشيد – الهتافات – الشجعان – الميدان -عزمات – البطولة – وطنا – الإخوان – شهيد – دمه -وحدة – البغاة-جرحها...

ب -الأمة: عزة الأوطان – بني الخضراء– الإخوان – بني قحطان – وحدة – العروبة – عرب –الأحلاف...

يعد حقل (الانتماء) أهم الحقول في القصيدة ؛ لأنه لوّن القصيدة بالأحمر الدال على رغبة الشاعر في الثورة على العدو، فالدفاع عن الوطن عن الأمة واجب مقدس ومفروض، والدعوة إلى ذلك تعتمد على انتقاء مفردات من جنس الهدف الذي يصبو إليه الشاعر، ولهذا مثلت من القصيدة 126كلمة ، من مجموع233كلمة أي أكثر من النصف ما مثل نسبة 54.07من المائة وهدف هذه الكثافة صنع أجواء حماسية وثورية تهز المتلقي وتشحنه، فمزج الشاعر بين معجم حقول دالة على الثورة و الوطن والأمة، فنتج خطاب ثوري وطني يؤجج المشاعر ويثير الحماس فيذوب المتلقي في بوتقتها، فيفديهما بماله وروحه وخاصة أن بعض هذه المفردات في صميم هوية المتلقي باعتباره مسْلما .

ج-الدين:وظف كلمات دينية لدى المتلقي مقدسة تحيل إلى دلالات الآيات القرآنية الكريمة التي يحفظها المواطن التونسي– أو أي متلق مسلم - فتتحرك معانيها في نفسه، ومنها (ادفعوها،الشجعان، الخلود،روعوها، ارفعوها،لقنوا،لكما، صفعا،عزة، شهيد،الإيمان، عهدنا، الموثقا، وحدة، بني الخضرا ....) ،لقد تشبع النص بمعجم ديني؛ كل مفردة منه أيقونة؛ تحيل المتلقي إلى النصوص القرآنية التي تبني ثقافته وانتماءه الحضاري، والإسلام يعتبر الحافظ الأساسي لشخصية كل مسلم أمام محاولات التغريب،والمسخ، والعدوان، فيبادر المظلوم للدفاع عن وطنه بل يتمنى أن يموت شهيدا، وينال رضا الله تعالى والجنة، ولذلك استعمل المفردات ذات الدلالة الدينية الإيمانية.

4 - الحقل الدلالي الخاص بالطبيعة:وردت مفردات تنتمي مسمياتها إلى الطبيعة وهي (الليل-السدود-الحدود – أنجما – السما – الميدان – الدروب – الدنيا – الصدى – الورود – الأغصان – الريحان – المعابر – الحناجر – العرائس – الدمى – النعال – الحصرم – زقوم...).،انطلق الشاعر مباشرة من الليل (ادفعوها) في ضمير الليل.... تسمع الأكوان.... ادفعوها.... في الوجود... للخلود... ساخرات بالسدود... هازئات بالحدود، فالمقطع الأول كانت معظم مفرداته تنتمي إلى الطبيعة ،وذلك ليُضمّن خطابه دلالات ومعاني فيكون مشفرا، ولهذا كان مكثفا بالرمزية ذات المعاني والإيحاءات التي تخدم النص وبالتأمل والربط بينها نجدها ترمز لانطلاق الثورة الجزائرية في منتصف ليلة أول نوفمبر سنة 1954 م ، كما أن هذه المفردات تدل على المدرسة التي ينتمي إليها ؛وهي مدرسةالشعرالسياسي التحرري، كما يكشف الخطاب عن مذهبه الرومانسي الذي يتأسس على الاستعانة بالطبيعة ،والتي تصبح وسيلة لتبليغ الرسالة ؛فتصبح عناصرها الجامدة وسيلة لبعث الحركة والحياة والثورة، ومثال ذلك المقطع الأول ففيه جعل ضميرا لليل،وقد خالف الشاعر هنا التشبيه الشائع له ،لأنه كان يرمز للعدو والظلم والهموم ،وبهذا يضيف الشاعر دلالة جديدة رامزة لليل، فيصبح هنا أحسن مجال لانطلاق الثوار ضد المعتدي؛ ليعكروا هدوءه،ثم استعمل لفظة السكون والتي تعني السكون السابق الذي غضب منه الشاعر،سكون ظن فيه المستعمر أنه قد أمن، وأن الشعب قد استسلم فعم السكون؛ كما يعم الطبيعة ، حتى ظن المستعمر أنه انتصر، ثم استعمل مفردة الفضاء ويقصد بها العالم دلالة على قوة الفعل الثوري المطلوب ،ثم استعمل مفردة (الأكوان) ليسمع العالم بقصة الانطلاقة الثورية،والانتقام من قتلة المظلومين في تونس، ثم استعمل (السدود) و(الحدود)، وهو يقصد الحواجز التي وضعها الاستعمار الفرنسي لمنع التواصل بين تونس وأشقائها العرب،والمسلمين.

3-التركيب: تنتمي القصيدة إلى شعر التفعيلة رغم أن الشاعر قد اتخذ موقفا يوحي عدم الرضا عليه لكن القصيدة تبقى تجربة إبداعية في هذا اللون الشعري فكيف كان المستوى التركيبي في هذا النص.

يُظهر التأمل وجود جمل منتظمة، فهي تتعاقب، وتتساوى في حيزاتها، وعناصرها المكونة لها وأدائها الصوتي، وبسبب هذه الخصائص تسمى جملها بالجمل المتوازية، أو التقابل أو(حُسن التقسيم).

استعان الشاعر بنمط الجمل المتوازية في هذه القصيدة ،وقد مثلت إحدى عشر جملة منتشرة على مستوى النص، وبذلك تعد ظاهرة أسلوبية لا يمكن تجاوزها، فهنا قام الشاعر بتقطيع الجمل (تقطيعا متساويا بحيث تتفق في البناء النحوي اتفاقا تاما، وسواء اتفقت هذه الجمل في الدلالة أم لم تتفق؛فالمهم هو تطابقها التام في البناء النحوي)[6]

1- فعل + فاعل(ضمير مستتر) + مفعول به:

5-حال + جار ومجرور:

- ادفعوها .... هازئات بالحدود

6-جار ومجرور:

- اقطعوها في المعابر. بالخناجر.

- اقطفوا الأغصان.
- اجمعوا الريحان.
- أدبوا (آمان).
- اردعوا (ماريان).

2-فعل + فاعل + مفعول به :

- يسمع الغيب نداها .
- يرعب الدنيا صداها.

3-فعل + فاعل مستتر + جار ومجرور:

- تترامى كالقضا .
- وتدوي في الفضا .

4-جار ومجرور + مضاف إليه :

- جرعوها .... وصريع التاج (ومع صريع التاج) .
في ذرى قرطاج.

إن استعمال الشاعر هذا النمط هدفه تحقيق توازن جرسي ينبه المتلقي، فاعتمد على التساوي بين بعض الجمل المتعاقبة إضافة إلى السجع الذي جاورها مما جعلها تصير خاصية أسلوبية.

خلاصة :إن التحليل الأسلوبي للنص بين استراتيجية خطابية مميزة للشاعر؛فتجميع المعجم الخاص بكل حقل أظهر دلالاته المركزية نقاط التأثر لدى المتلقي،قدسية الوطن وكرامة المواطن(المتلقي)ثم انتقل إلى العدو وأخيرا الأمة، فتوحدت مفردات هذا المعجم في بوتقة شكل منها أسلوبا إيحائيا ساخنا، كما أن الصوت الداخلي والخارجي للقصيدة شكلا صدى منبها إلى إيحاءات المعجم تجعل المتلقي يشارك المتلقي القراءة ،أو الإلقاء فتتحقق المشاركة الوجدانية بينهما، أما التركيب فمن خصائصه أنه اعتمد على خاصية أسلوبية هي حسن التقسيم (التقابل) الذي أعطى قيمة جمالية للنص .

أتوقف هنا مكتفيا بهذه المقاربة البحثية احتراما لتعليمات الملتقى، وسيبقي المجال مفتوحا للغوص فيه لأن ما بقي أكثر يرغب الباحث للغوص فيه.

الهوامش:

1 - محفوظ كحول ،من أروع قصائد مفدي زكريا، دار نوميديا ،الجزائر، د ط ، د س،ص:38-47.

2- فتح الله سليمان، الأسلوبية؛ مدخل نظري ودراسة تطبيقية، دار الآفاق العربية، القاهرة،ط:2008،1ص:59.

3- المرجع السابق، نفس الصفحة.

4-خولة طالب الابراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر،ط:2، 2006/2000، ص58.

5- علي أبو ملحم، في الأسلوب الأدبي، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط:2، 1995.

6-رجب عبد الجوادإبراهيم ،موسيقى اللغة،دار الآفاق العربية القاهرة ط:1428،2ه-2008م ص:67.

المراجع:

1 - محفوظ كحول ،من أروع قصائد مفدي زكريا ،دار نوميديا ،الجزائر، د ط ، د س.

2-فتح الله سليمان ،الأسلوبية؛مدخل نظري ودراسة تطبيقية،دار الآفاق العربية،القاهرة،ط:1، 20008 .

3 –خولة طالب الإبراهيمي،مباديء في اللسانيات،دار القصبة للنشر ،الجزائر،ط:2000،2006/2.

4-علي أبو ملحم ،في الأسلوبالأدبي،دار مكتبة الهلال،بيروت ،لبنان،ط:1995،2.

5-رجب عبد الجوادإبراهيم ،موسيقى اللغة،دارالآفاق العربية ،القاهرة ،ط 1428،2ه-2008م